دلالة أسلوب الاستغاثة وعلاقته بالنداء

د. عتيق صالح علي القماطـــي - كلية الآداب - جامعة صبراتة

مقدمة:

يُعد أسلوب الاستغاثة من الموضوعات النحوية التي لم تنل حظاً وافراً من اهتمام الدارسين نحوياً ودلالياً

أهمية البحث :

حرص النُّحاة أثناء انشغالهم في عملية التَّقعيد اللُّغوي على أن تضم حدودهم النَّحوية أساليب اللُّغة وأشكالها التركيبية، غير أن الاستعمال اللُّغوي يحتم على بعض الأساليب عدم الالتزام بالقواعد والحدود في جميع أحوالها؛ لتُوفر مساحة متاحة تسمح للمتكلمين بها ممارسة أدائهم بعيداً عن حدود تلك القواعد وضوابطها.

مشكلة البحث :

حمل النحويون أسلوب الاستغاثة على باب النداء؛ لظهور الأداة (يا) التي نابت مناب الفعل (أدعو)، ما دفع كثير من اللغويين إلى أن يربط بين هذا النمط الكلامي وبين أسلوب النِّداء في بعض مسائله الشكلية، وهو أمر يراه الباحث موضع تداخل ولبس بين دلالة هذين الأسلوبين؛ ما جعل الباحث يختار هذا الموضوع تحت عنوان: (دلالة أسلوب الاستغاثة وعلاقته بالنداء)، يسعى فيه إلى تجلية هذا اللبس وفكّ هذا التداخل، وذلك بتحديد مفهوم أسلوب الاستغاثة، وبيان قيمته الدلالية، وما يمتاز به من جهة تركيبه، وترتيب عناصره، وأثر التنغيم والنبر في توجيه دلالته، ومفارقته دلالياً لأسلوب النِّداء. فجاء هذا البحث على النحو الآتي:

أولًا- مفهوم أسلوب الاستغاثة:

الاستغاثة في **اللغة** مصدر للفعل اسْتَغَاث، يُقال: استغاث، يسْتَغِيث، اسْتَغِثْ، اسْتِغَاثَةً، واسم الفاعل منه مُسْتَغِيث، واسم المفعول مُسْتَغَاث. ويدور معناه حول طلب المساعدة والمعونة والفرج؛ لدفع ضرر أو شدة أو بلاء أو ضيق يصيب الإنسان. يقال: اسْتَغَاث بفلان، أي: طلب النصرة والنجدة، أي استعان به. ويقال: غوَّث الرجل، واستغاث: صاح وَاغَـــوْثَاه! بمعنى : طلب الفـرج والمعونة ، وفي الحديث: **"اللَّهُمَّ**

أغِثْنا"، أي : فرج عنّا[1]. ومنه قوله – تعالى- : **(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ)**[2]، أي : تطلبون من الله العون والمدد.

أما في **الاصطلاح** فهي دعــوة من يخلص من شدّة، أو يعين على دفع مشقة[3]، نحو:(يا للَّه لِلضُّعفاءِ)، و(يا لَزَيدٍ لِعَمرٍو)، فالمقصود منها هو طلب النُّصْرة والعون.

وفي ضوء المعنيين اللُّغويّ والاصطلاحي يمكن القول إنَّ دلالة أسلوب الاستغاثة دلالة انفعالية تأثيرية تساعد المتكلم في التعبير عن مشاعره ، وعواطفه ، وانفعالاته؛ لإفادة طلب التَّخلص من شدَّة ، أو المساعدة على دفعها.

ثانيًاــ دلالة أسلوب الاستغاثة:

يذهب النّحاة إلى أن الاستغاثة تفيد معنى النداء والدعاء ، وهذا يظهر من تعريفهم لها ، فقد جعلها سيبويه تحت عنوان: " هذا ما يكون النداء فيه مضافا إلى المنادى بحرف الإضافة، وذلك في الاستغاثة"[4]، وقد استشهد لذلك بقول الشاعر[5]:

يا لَبَكْرٍ أَنْشِروا لي كُلَيباً يا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الفِرارُ.

فقد استغاث بهم لينشرا له كليبا ، وهذا منه وعيد وتهدد.

فالاستغاثة عند سيبويه نداء، والمستغاث منادى أضيف إليه حرف الجر، ووافقه في ذلك ابن السراج ؛ إذ يقول: "وقد تحذف العرب المنادى المستغاث به مع (يا) لأن الكلام يدل عليه"[6]، أما الرضي فقد ذكر أن " المستغاث مخصوص من بين أمثاله بالدعاء"[7]، ووافقه السيوطي بقوله: "والاستغاثة دعاء المستغيث المستغاث"[8].

ولا يستعمل للاستغاثة إلا (يا) خاصة، وكونها مذكورة غير محذوفة [9]، والسّبب في ذلك أنّ الاستغاثة تحتاج إلى مدّ الصوت الذي يحققه حرف الاستغاثة (يا)؛ ليسرع المدعو إلى إجابة المستغاث له ؛ ولكونها أشهر أدوات النداء وأقواها، والحذف مناف لذلك؛ ولأن المستغاث به متراخٍ أو غافلٌ، فيحتاج لتنبيهه إلى إطالة الصوت بأداة الاستغاثة (يا)، فهي لازمةٌ له ولا يجوز حذفها.

ولا يرد غير(يا) إلا ضرورة أو شذوذا، نحو قول الشاعر[10]:

تَمَنَّــاني لِيَلْقــاني لَقيطٌ أعامِ لك بنَ صَعْصَعَةَ بنِ سَعدِ.

والشاهد استعمال الهمزة في قوله: (أعام) للاستغاثة ضرورة أو شذوذاً.

ثالثًا- تركيب أسلوب الاستغاثة:

يتركَّب أسلوب الاستغاثة من:

1- **أداة الاستغاثة،** وهي (يا)؛ لأنَّها أمُّ الباب، وتكون للتَّنبيه، ولا تُستعمل إلا هي خاصَّة ، ويجب ذكرها؛ والسبب في ذلك أنَّ الاستغاثة تحتاج إلى إطالة الصَّوت ومدِّه الذي تحقِّقه (يا)؛ ليسرع المدعو إلى إجابة المستغاث له، ولكونها أشهر أدوات النِّداء وأقواها، والحذف مناف لذلك[11]، وقد يكون السبب هو أَنَّ (يا) هي الأنسب صوتيا للاستغاثة؛ حيث تنتهي هذه الأداة بألف المد التي تسمح بإطلاق الدفقة الصوتِية العفوية التلقائية غير الإرادية التي لا تحتاج إلى مراجعة ذهنية الناتجة عن الاستغاثة دفعة واحدة وبمقطع واحد طويل مفتوح (صامت + حركة طويلة)، وهو ما لا تسمح به بعض الأدوات النداء مثل (أَيْ) التي لا تنتهي بحرف مـد يسمح بـتنفيس دفقة الاستغاثة ، ولا الأداة (أَ) التي لا تسـمح باكتمال هذه الدفقة الاستغاثية، ولا الأداتـان (أيا ، هيا) التي ستجعل المُتكلم ينطق بمقطعين: مقطع قصير مفتوح (أَ، هَ)، أي: (صامت + حركة قصيرة)، ومقطع طويل مفتوح (يا)، أي: (صامت + حركة طويلة). وهذا الانتقال المقطعي يعوق الدفقة الصوتية التلقائية العفوية اللاإرادية المعبِّرة عن الاستغاثة[12].

2- **المستغاث به،** وهو الذي يُطلب منه العون والمساعدة ، ويسمى – أيضا- (المُستغاث)، وهذه التسمية هي الأكثر شيوعا، وغالبا ما يكون موقعه بعد حرف الاستغاثة[13]، ويكون مجرورا بلام مفتوحة. يقول المُبـرِّد: "فإذا دعوت شيئا على جهة الاستغاثة فاللام معه مفتوحة "[14]، ولا تكسر إلا مع المعطوف إذا لم تتكرر معه (يا) وأُمِنَ اللَّبس [15].

نحو قول الشـاعر[16]:

يَبْكِيكَ نَاءٍ بَعِيدُ الدَّارِ مُغْتَرِبٌ يَا لَلْكُهُولِ ولِلشُّبَّانِ لِلْعَجَبِ.

والشاهد فيه: (وللشُّبان) حيث كسرت فيه اللام، والقياس فتحها؛ حملا على المعطوف عليه، ولكن لما كان معلوماً وزال اللَّبس ولم يكرر حرف النداء كُسِرتْ.

والعلة في فتح هذه اللام، قيل: إنَّها جاءت مفتوحة على الأصل[17]، وقيل: للفصل بين المدعو والمدعو إليه[18]، وقيل: لذهاب اللَّبس والفرق بين المستغاث به والمستغاث له[19]، وقيل: لوقوعها موقع المضمر، كما في مثل: لَك، ولَه[20].

وقد تعددت مسميات هذه اللام: فسُميت بلام النداء[21]، وحرف الإضافة[22]، ولام الخفض أو الجرِ[23]، ولام التَّخصيص[24]، ولام الاستغاثة[25]، والأخيرة هي الأكثر استعمالا.

أما عن متعلق هذه اللام ففيه خلاف. قيل: إنَّها تتعلق بالفعل المحذوف، وقيل بحرف النداء، وقيل: بحال محذوفة، تقديره: (يا لَزيدٍ مدعواً لعمر)، في قولك: (يا لَزيدٍ لعمر)، وقيل: إنَّها زائدة فلا متعلِّق لها[26].

ويجوز أنْ يجيء المستغاث به مجردا من اللام، نحو قول الشاعر[27]:

أَلا يا قَوْمِ لِلعَجَبِ الْعَجيبِ وللْغَفَلاتِ تَعْرِضُ لِلأَرِيبِ.

الشاهد فيه: (يا قوم)، حيث جاء بالمستغاث به خاليا من اللام المفتوحة في أوله ومن الألف في آخره.

والأكثر حينئذ أنْ يختم بالألف، نحو: (يا زيدا)، وقول الشاعر(28):

يا يَزِيدًا لآمُلٍ نَيْلَ عِزٍّ وَغِنًى بَعْدَ فاقَةٍ وهَوَانِ.

وقد نصَّ النحويون على أنَّ هذه الألف عوضاً عن اللام، ولا يجوز الجمع بينهما؛ لعدم الجمع بين العِوض والمعوَّض[29]، كما يجوز أنْ تلحق المستغاث به هاء السَّكت إذا وُقِف عليه حالة إلحاقه الألف. يقول **سيبويه**: "وزعم الخليل- رحمه الله- أنَّ هذه اللاَّم بدل من الزِّيادة التي تكون في آخر الاسم إذا أضفت، نحو قولك: (يا عجباه)، و(يا بكراه) إذا استغثت ... ونحو هذا في كلامهم كثير"[30].

ويبدو أنَّ إلحاق الألف بالمستغاث به يُنبِئُ عن استغاثة أقوى وأشد، لما فيها من مدِّ الصوت. فالمستغيث بالألف يمدُّ صوته طالبا للنَّجدة، فقولك: (يا بَكْراه) أشد دلالة على الاستغاثة من (يا لَبكر)[31].

يؤيد ذلك ما قرره علماء اللغة المحدثون من أن الأصوات الصامتة أقل وضوحا في السمع من أصوات المد واللين، وأن أبرز خاصية من خواص أصوات المد هي قوة الوضوح السمعي؛ ولذلك نجد أن المدود لها مكانة خاصة في تجويد تلاوة القرآن، وأنها هي التي تعطي الفرصة للقارئ الذي يريد أن يظهر تفوقه أو قوة صوته بسبب تمكنه من إطلاق النفس مع هذه الأصوات في حرية تامة. ثم إن ألف المد في أداة الاستغاثة، والتي تلحق المستغاث به هي أقوى هذه الأصوات وضوحًا؛ وذلك لحرية مرور الهواء وانطلاقه أثناء النطق بها. والنفس أثناء النطق بالفتحة الطويلة يبلغ

أقصى درجات انطلاقه وحريته؛ مما يعطي الصوت قوة ويسلمه إلى الحرف التالي واضحا قويا[32].

وقد يحذف المستغاث به إذا لم يُقصدْ شيء بعينه، فيلي (يا) المستغاث له؛ لكونه غير صالحٍ لأنْ يكون مستغاثا[33]، نحو: (يا للمظلوم)، و(يا للضعيف)، كأنَّك قلت: (يا لَلمسلمين لِلمظلوم)، و(يا لَلمجتمع لِلضعيف)، ومنه قول الشَّاعر[34]:

يَا لَأُنَاسٍ أَبَوَا إلاَّ مُثابَرَةً عَلى التَّوَغُّلِ فِي بَغْيٍ وعُدْوَانِ.

الشاهد فيه: (يا لأناس) فإنَّه مستغاث له اتصل بـ(يا)، مجرورا باللام المكسورة، وحذف منه المستغاث، والتقدير: (يا لَقومي لأُناس).

3- **المستغاث له،** وهو الذي يُطلب بسببه العون والمدد، ويسمى (المستغاث لأجله)، ويكون مجرورا بلام مكسورة. يقول **المُبرِّد**: "... فإنْ دعوت إلى شيء فاللام معه مكسورة"[35].

وعلَّة الكسر عند **سيبويه** "أنَّ الاسم الذي بعدها غير منادى، صار بمنزلته إذا قلت: هذا لزيد، فاللام المفتوحة أضافت النداء إلى المُنادى المخاطب، واللام المكسورة أضافت المدعوَّ إلى ما بعده؛ لأنَّه سبب المدعوِّ، وذلك أنَّ المدعوَّ إنَّما دُعي من أجل ما بعده؛ لأنَّه مدعو له"[36].

ولا تُفتَحُ اللام إلا أنْ يكون المستغاث له ضميرا غير ياء المتكلم، نحو: يا لَزيدٍ لك، أو لهُ"[37].

وأما عن متعلق هذه اللام فهي تتعلق بما تعلقت به لام المستغاث به. يقول **الرضي**: "أما اللام الداخلة في المستغاث له فهي متعلِّقة بما تعلَّقت به اللام الأولى فمعنى (يا لَلَّهِ لِلْمسلمين): أخصُّ الله بالدعاء لأجل المسلمين"[38].

وقد يُجر المستغاث له بـ(من)[39]، يقول **الرضي**: "وقد يستعمل المستغاث له بـ(من) نحو: (فيا لله من ألم الفراق)، وهو متعلِّق بما دلَّ عليه ما قبله من الكلام أي: استغيث بالله من ألم الفراق"[40]، ونحو قول الشَّاعر[41]:

يَا لَلرِّجالِ ذَوي الأَلبابِ مِنْ نَفَرٍ لا يَبْرَحُ السَّفَهُ المُرْدِي لَهُمْ دِينا.

فـ(الرجال) مستغاث به، وهو مجرور بلام مفتوحة، و(نفر) مستغاث له مجرور بـ(من) ، كما يجوز حذف المستغاث له إنْ كان معلوما واللَّبس مأمونا[42].

كقول عدي بن زيد العبادي[43]:

فَهَلْ مِنْ خَالِدٍ إِمَّا هَلَكْنَا وَهَلْ بِالمَوْتِ يَا لَلنَّاسِ عَارُ.

إذ الأصل: يا لَلناس لِلشَّامتين، أو نحو ذلك.

ومنه قول المتنبي مادحا (شُجاع بن محمد الطائي):

صِحْ يَا لَجُلْهُمَةٍ تَذَرْكَ وَإِنَّما أَشْفَارُ عَيْنِكَ ذَابِلٌ وَمُهَنَّدُ[44].

فالمستغاث له محذوف يفهم من السِّياق، وتقديره: (يا لَجُلهُمَةٍ لي)، فحذف من باب الاختصار.

وقد يخرج أسلوب الاستغاثة إلى معنى التَّعجب، نحو: (يا لَلْعجب، ويا لَلْماء). يقول **سيبويه:** "وقالوا: يا لَلْعجب ويا لَلْماء، لما رأوا عجبا أو رأوا ماء كثيرا، كأنَّه يقول: تعال يا عجب، أو تعال يا ماء، فإنَّه من أيامك وزمانك ... وكل هذا في معنى التَّعجب والاستغاثة"[45].

ويقول **ابن النَّاظم**: "وينادى المتعجَّب منه، فيُعامل معاملة المستغاث من غير فرق. فمن ذلك قول بعضهم: يا لَلعجب، ويا لَلماء، بفتح اللام على معنى: يا عجبُ احْضُرْ فهذا أوانك"[46].

وعلى ذلك يكون للترتيب في هذا الأسلوب أهمية كبيرة في تنويع المعاني وتغيير الدلالات، إذ يُعَدُّ التزام ترتيب الكلمات عاملا دلاليا في جملة الاستغاثة؛ يساعد على إيضاح معنى الاستغاثة من طلب التَّخلص من شدَّة، أو المساعدة على دفعها، أو غيرهما من المعاني التي أراد المتكلم أن يفصح عنها. فالتزام (يا) الاستغاثة في موقع الصدارة، وعدم جواز تقديم المستغاث به، أو المستغاث له على الأداة؛ ليُعدُّ عنصرا دلاليا يحدد معنى الجملة، ويقوم تركيب الأسلوب كله بأداء التعبير الانفعالي الذي يريد المتكلم التعبير عنه. يقول (ماريو باي) عن أهمية الترتيب في الجمل عامة: "فطريقة تنظيم هذه الكلمات تصبح مهمة، وربما متحكمة في المعنى كله"[47].

رابعًا- دور التنغيم والنبر في دلالة أسلوب الاستغاثة:

لا يخفى دور التنغيم والنبر في التفريق بين المعاني، إذ بهما نستطيع التفريق بين الجمل الخبرية والإنشائية، كما يساعدان المتكلِّم على الكشف عمَّا يدور في خلجات النَّفس من انفعالات ومشاعر وأحاسيس.

فالتنغيم هو: "رفع الصَّوت وخفضه في أثناء الكلام، للدّلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة، أو الحركة الصوتية للكلام صعوداً وهبوطاً، يستعمل كمميز دلالي"[48]، ويرى **تمام حسان** بأنَّ النبر يُعد من الظواهر السِّياقية، ومن قرائن التعليق اللفظية في السِّياق، وهو الإطار الصوتي الذي تنطق به الجملة في سياقاتها المختلفة، فهو يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة، غير أنَّ التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة[49]. ومن ثَم فهو الوسيلة التي يمكننا به التمييز بين معانٍ تشترك في مبنى واحد.

وقد أوضح **فندريس** أهمية التنغيم في التفريق بين القيم الدلالية للجمل المتماثلة في مبانيها قائلا: "فبعض الصيغ المتماثلة كل التماثل لا يتميز بعضها عن بعض في الغالب إلا بالنغمة"[50].

أمَّا النبر هو: "وضوح نسبي لصوتٍ أو مقطعٍ إذا قورن ببقيَّة الأصوات والمقاطع في الكلام"[51]، وبأنَّه: "ازدياد وضوح جزءٍ من أجزاء الكلمة في السَّمع عن بقيَّة ما حولها من أجزائها"[52].

ويرجع سبب هذا الوضوح إلى عنصرين اثنين:

الأوّل : يرتبط بظاهرة علوّ الصوت وانخفاضه، وذلك نتيجة زيادة كميَّة الهواء المندفعة من الرئتين، والذي يؤدي بدوره إلى اتساع مدى ذبذبة الأوتار الصوتية؛ فيعلو الصَّوت لذلك.

الثّاني : يرجع إلى التوتُّر نتيجة التَّماس الذي يحدث بين أعضاء النطق في مخرج الصوت[53].

فقد تحذف أداة النداء قبل المنادى فتأخذ الكلمة حظها من التطويل والمَطِّ؛ فتكون النغمة وحدها قرينة وعلامة على النداء، كما يكون مستوى النغمة وأداء الصوت قرينة تميز النداء عن الاستغاثة على هذا المثال، إذ إن المنادى يتمثَّل الأداء الصوتي عنده بنغمة مرتفعة عند مثول التصويت بالنداء، في حين أن المستغيث يلتزم مستوى صوتياً يختلف عنه في النداء ليلائم دلالة الشعور الذي يريد الإفصاح عنه[54]، وفي ذلك يقول الدكتور/ تمام حسان: "فلولا النَّغمة لظل تعدد احتمالي المعنى قائماً. وهذا التَّعدد في احتمال المعنى دون مرجح لأحد الاحتمالات هو الذي يسمى اللبس"[55].

ويرى الدكتور/ خليل عمايرة أنّ التنغيم يُعد عنصرا تحويليا في الجملة، حيث يدخل على الجملة التوليدية فيحولها من باب إلى باب، ومن معنى إلى معنى. فالجملة: كتبَ التِّلميذُ الدَّرسَ، بالنَّغمة المستوية جملة فعليَّة تفيد الإخبار، وبالنَّغمة الصَّاعدة تتحول إلى الاستفهام، وبنغمة صاعدة جدا مع نبر إحدى كلمات الجملة تتحول إلى جملة انفعالية تأثيرية؛ لتفيد الدهشة والاستغراب[56].

وعلى ذلك فأسلوب الاستغاثة الهدف منه انقاذ ومساعدة المستغيث على الظروف التي فرضتها عليه المواقف الواقع فيها. فجملة (**يا لَلَّه لِلمسلمين**) أصلها التوليدي جملة تحولية فعلية: (**أدعو الله للمسلمين**)، ومعناها هنا الإخبار، نغمتها هي النغمة الصوتية المستوية؛ ولمَّا كان المتكلم لا يُريد الإخبار في هذه الجملة؛ بل يريد الاستغاثة وطلب العون وجب عليه أن يضيف (لام) الاستغاثة على المستغاث به، واستبدال الفعل (أدعو) بـ(يا) الاستغاثة، وذلك لإظهار المعنى الجديد، فيكون تركيب جملة الاستغاثة في نحو قولك: (يا لَلَّه لِلمسلمين) على النحو الآتي:

أداة استغاثة + لام الاستغاثة المفتوحة+ المستغاث به+ لام الجر + مستغاث له.

ويتبع هذا التغيير في النغمة الصوتية التي تصبح نغمة مرتفعة في أولها ووسطها؛ تبعا لنوع الشدة وقوتها التي يعبر عنها المستغيث[57]، وبذلك تتحول الجملة من جملة خبرية توليدية إلى جملة إنشائية تحويلية، وذلك بإضافة عنصر الزيادة (لام) الاستغاثة، واستبدال الفعل (أدعو) بأداة الاستغاثة (يا)، وهما عنصران تحويليان يحولان الجملة الخبرية إلى إنشائية.

وهذه الدلالة هي التي عبَّر عنها الدكتور/ **تمام حسان** بأن أسلوب الاستغاثة من الأساليب الإنشائية التي تفيد الإفصاح، وتلعب الأداة دورا مهما في الربط بين الأبواب المفردة داخل الجملة، فلام الاستغاثة تعد عنصرا من عناصر التعليق التي تقوم بوظيفة ربط العلاقات بين أجزاء الجملة المختلفة[58].

وخلاصة القول: إنَّ أسلوب الاستغاثة من الأساليب الانفعالية التأثيرية التي يُعَبَّر بها عن مشاعر المستغيث وعواطفه والإفصاح عنها؛ لإفادة طلب العون والمساعدة على دفع شدَّة والتَّخلص منها، ويرتبط ذلك بسياق معين، وتنغيم صوتي يُناسب مشاعر المستغيث في التعبير عن مراده.

خامسًا- العلاقة بين أسلوب الاستغاثة والنداء:

يفهم من عبارات كثير من النحاة أن أسلوب الاستغاثة شبيه بأسلوب النداء، ويندرج تحت مكوناته، يقول سيبويه: "باب ما يكون النداء فيه مضافا إلى المنادى بحرف الإضافة وذلك في الاستغاثة"[59]، ويؤيد ذلك عبارة الرضي الاستراباذي: "المستغاث منادى دخله معنى الاستغاثة"[60].

وعبر عن ذلك أيضا خالد الأزهري بأن الاستغاثة: "هي نداء من يخلص من شدة أو يعين على مشقة"[61].

ولعلَّ من أوجه التشابه التي جعلت بعض النحاة يربطون بين الاستغاثة والنداء المشابهة اللفظية وذلك في استخدام الأداة (يا) في الأسلوبين. قال خالد الأزهري: "إذا استغيث اسم منادى وجب كون الحرف الذي ينادى به المستغيث (يا)؛ لأنها حروف النداء"[62]، ولشدة التشابه بينها جعل بعض العلماء يذهب إلى أنه لا يتحقق بناء أسلوب الاستغاثة إلا بالنداء أي: أَنَّ المستغاث اصطلاحا لا يكون إلا منادى، ومثاله: يا لَمحمد لِعلي؛ ومعناه: الاستغاثة بمحمد من أجل إنقاذ علي ومعونته[63].

غير أنَّ هذا التَّشابه لا يُعَد مبررا للرَّبط بين هذين الأسلوبين؛ لأنَّ لكل أسلوب الدلالة الخاصة به، وتتَّضح هذه المفارقة جليا من خلال الوقوف على مفهومهما، وغرض كل منهما.

إذ إنَّ **مفهوم النداء** يدور حول معنى التنبيه، والطلب، والدعاء، فهو: "إحضار الغائب، وتنبيه الحاضر، وتوجيه المُعْرِضِ، وتفريغ المشغول، وتهييج الفارغ. وهو في الصناعة: تصويتك ممن تريد إقباله عليك لتخاطبه. والمأمور بالنداء ينادى ليخاطبه الآمرُ فصار كأنَّه هو المنادى"[64].

فالنداء إذا دعاء، أو طلب، أو تنبيه بأحرف مخصوصة؛ لشد انتباه السامع لأمر يريده المتكلم، ويمثل بابا من أبواب النحو، يأخذ حركة إعرابية معينة، في ضوء تركيب الاسم المنادى طبقا لقوانين معينة.

وأما المنادى فهو المطلوب إقباله، سواء كان بعيدا، أو في حكم البعيد كالنائم والساهي.

والغرض من حروف النداء "امتداد الصوت وتنبيه المدعو، فإذا كان المنادى متراخيا عن المنادي، أو معرضا عنه لا يُقبل إلا بعد اجتهاد، أو نائما قد استثقل في نومه، استعملوا فيه جميع حروف النداء ما خلا الهمزة"[65].

حيث يظهر معنى طلب الانتباه في جملة النداء في حرف النداء مذكورا أو محذوفا، وفي الأمر الطلبي الذي يأتي بعد حرف النداء، نحو قولك: (يا شاهد قُلِ الصدق)، وهذه العناصر اللغوية في النداء لا تكون في جملة الاستغاثة ولا تحمل معناه.

أما **مفهوم الاستغاثة** -كما سبق ذكره- فهي: طلب من يخلص المستغاث له من شدة وقع فيها, أو يعين على دفع مشقة حصلت له[66].

فالمقصود منها: طلب النصرة والعون، نحو: يالله لِلمسلمين, ويا لَقومي لِفرقة الأحباب، ويا لَطبيب لِلمريض، ومنه قول الشاعر:

يَا لَقَومِي ويا لأَمْثالِ قَومِي لأُناسٍ عُتُوُّهُمْ في ازْدِيادِ[67].

وعلى هذا المفهوم لا وجود لمعنى النداء لشخص ما، أو لفت انتباهه لأمر يريده المتكلم، وهذا الأمر قد تنبَّه إليه بعض النحويين.

ولما كان الغرض من النداء شد انتباه المخاطب بالتصويت له لأمر يريده المتكلم، والاستغاثة هو طلب من يخلص المستغاث له من شدة وقع فيها, أو يعين على دفع مشقة عنه، فإنَّ القول بأنَّ الاستغاثة نِداء لا يتوافق مع المعطيات الدلالية التي يتميز بها كل واحد منهما.

وما قال به بعض النحاة بوجود مشاركة شكلية ومعنوية بين النداء والاستغاثة يحتاج إلى بحث وتمحيص، حيث إنَّ الاستغاثة هي طلب المستغيث من يعين على دفع شدة، أو مشقة، وهذا المفهوم وإن لُمِحَ فيه معنى الانداء؛ غير أنه لا يرقى إلى أن يُعد قسما من أقسامه.

ووفــق ما تم عرضه فإن الآراء السابقة يمكن التوفيق بينها بأن تُجعل العلاقة بين النداء والاستغاثة علاقة عموم وخصوص، حيث إنَّ الغرض العام من النداء طلب انتباه المخاطب لأمر ما، في الشدَّة وفي الرخاء، أما الاستغاثة فلا تكون إلا في طلب العون والنصرة في الشدة والضيق.

فأسلوب الاستغاثة يُعد من الأساليب الإنشائية الانفعالية التأثيرية، يعبر به المستغيث عن مشاعره وعواطفه؛ لإفادة طلب التخلص من شدة والعون على دفعها، أو التخفيف منها، ويرتبط بسياق معين، وتنغيم صوتي يناسب مشاعر المستغيث في التعبير عن مراده.

الخاتمة:

يمكننا من خلال عرض موضوع دلالة أسلوب الاستغاثة وعلاقته بالنداء- تدوين بعض النتائج التي أسفر عنها هذا البحث، وهي على النحو الآتي:

1- دلالة أسلوب الاستغاثة تقوم على التعبير عن المعاني النَّفسية التي يشعر بها المتكلم من ضيق نفسي، أو تورط في موقف محرج؛ فيطلق صرخة استغاثية تنبه الغير على طلبه المساعدة والعون له؛ للتخلص من هذا الضيق والحرج، وهذا الأمر يجعل أسلوب الاستغاثة أقرب إلى الإنشاء منه إلى الإخبار.

2- يُعَدُّ التزام الترتيب بين عناصر أسلوب الاستغاثة عاملا دلاليا يساعد في الإفصاح عما يشعر به المتكلم من مشاعر، وإن أُجِيز حذف بعض عناصره إن أُمن اللبس.

3- أسلوب الاستغاثة يختلف في دلالته عن أسلوب النداء، فكل أسلوب له قيمته الدلالية الخاصة به، وإنْ تشابها شكلا في بعض الصور، كما يُعَد النبر والتنغيم من الوسائل التي يمكننا بها التمييز بين القيم الدلالية للأساليب المتماثلة التي تشترك في مبنى واحد.

4- أسلوب الاستغاثة يعد عنصرا من عناصر التحويل دخل على الجملة الأصل؛ لإفادة الإسراع في طلب الغوث، أو دفع المشقة.

الهوامش:

([1]) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط:1: مادة (غوث)، معجم اللغة العربية المعاصرة، الدكتور/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، ط1، 2008م. مجلد/3، ص1648.

([2]) سورة الأنفال: الآية 9.

([3]) ينظر: شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، تحقيق: محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العالمية ببيروت، ط:1، 2000م: 181/2.

([4]) الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط:3، 1988م: 215/2.

([5]) البيت للمهلهل بن ربيعة. ينظر: معجم شواهد النحو الشعرية، لحنا جميل حداد، دار العلوم للطباعة والنشر- الرياض، ط:1، 1984م: شاهد رقم 990.

([6]) الأصول في النحو، لأبي بكر بن السراج، تحقيق: د/ عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة، ط:3، 1988م: 354/1.

([7]) شرح الرضي على الكافية، للرضيّ الاستراباذيّ، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، ببنغازي- ليبيا، ط:2، 1996م: 1/ 352.

([8]) همع الهوامع، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة- بيروت، 1998م: 71/3.

([9]) ينظر: أوضح المسالك، لابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة- مصر، ط:5، 1967م: 47/4، همع الهوامع: 71/3.

([10]) البيت لشريح الكلابي. ينظر: معجم شواهد النحو الشعرية: شاهد رقم 759.

([11]) ينظر: الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، ط:3، 1983م: 218/2، الأصول في النَّحو: 354/1. شرح التصريح: 243/2.

([12]) ينظر: قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه، لإيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة (رسالة دكتوراه)، قسم اللغة العربية، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس- القاهرة، 2016م: ص264، 265.

([13]) ينظر: النَّحو الوافي، النَّحو الوافي، لعبّاس حسن، دار المعارف، ط:6، 1979م: 77/4.

([14]) المقتضب، للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب- بيروت، 1973م: 254/4.

([15]) ينظر: شرح التصريح: 243/2، همع الهوامع: 72/3.

([16]) معجم شواهد النحو الشعرية، شاهد رقم 331.

([17]) ينظر: المقتضب: 254/4.

([18]) ينظر: الأصول في النَّحو: 351/1.

([19]) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، لبدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط:1، 2000م: ص417.

([20]) ينظر: شرح الرضي: 352/1، 353.

([21]) ينظر: الجمل في النَّحو، للخليل بن أحمد الفراهيد، تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط:1، 1985م: ص253.

([22]) ينظر: الكتاب: 216/2.

([23]) ينظر: الأصول في النَّحو: 354/1، الخصائص: 439/2.

([24]) ينظر: شرح الرضي: 352/1.

([25]) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال- بيروت، ط:1، 1993م: ص: 37.

([26]) ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي- بيروت، ط:1، 1955م: 303/3، همع الهوامع: 72/3.

([27]) ينظر: معجم شواهد النحو الشعرية: شاهد رقم 274.

([28]) ينظر: المصدر السابق: شاهد رقم 3072.

([29]) ينظر: المقتضب: 254/4، شرح التصريح: 244/2.

([30]) الكتاب: 218/2.

([31]) ينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، ط:1، 2000م: 336/4.

([32]) ينظر: الفواتح الهجائية وإعجاز القرآن: السيد عبد المقصود جعفر، دار الطباعة والنشر الإسلامي، ط 1) 1992م: ص128، 129، 157.

([33]) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمرادي، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي-بيروت، ط:1، 2008م.

: 1117/3، همع الهوامع: 74/3.

([34]) ينظر: معجم شواهد النحو الشعرية: شاهد رقم 3038.

([35]) المقتضب: 254/4.

([36]) الكتاب: 219/2

([37]) ينظر: شرح التصريح: 244/2.

([38]) شرح الرضي: 353/1، وينظر: همع الهوامع: 73/3.

([39]) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تحقيق: محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، دار الفكر- دمشق، دار المدني- جدة، ط:1، 1400- 1405ه: 528/2، همع الهوامع: 73/3.

([40]) ينظر: شرح الرضي: 353/1.

([41]) ينظر: معجم شواهد النحو الشعرية: شاهد رقم 2919.

([42]) ينظر: شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر، ط:1، 1990م: 411/3.

([43]) ينظر: معجم شواهد النحو الشعرية: شاهد رقم 970.

([44]) ديوان أبي الطّيِّب المُتَنَبِّي، بشرح أبي البقاء العُكبري (المُسمّى بالتِّبيان في شرح الديوان)، تحقيق: مصطفى السّقّا وآخران، دار المعرفة، بيروت 1971م: 338/1.

([45]) الكتاب: 217/2، 218.

([46]) شرح ابن الناظم: ص419.

([47]) أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، ط:2، 1983م: ص52.

([48]) المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، القاهرة، 1412هـ: ص106.

([49]) ينظر: اللغة العربية مبناها ومعناها، لتمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، 1979م: ص226.

([50]) اللُّغة، لفندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م: ص109.

([51]) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء/ المغرب، 1979م: ص194.

([52]) ينظر: اللغة العربية مبناها ومعناها: ص170.

([53]) من وظائف الصَّوت اللغوي(محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، لأحمد كشك، دار غريب للطّباعة والنّشر، القاهرة، 2007م: ص53.

([54]) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها، لخليل عمايرة، عالم المعرفة- جدة، "ك1، 1984م: ص164.

([55]) الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، ط:1، 2000م: ص24.

([56]) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها: ص164.

([57]) ينظر: المصدر السابق: ص162- 165.

([58]) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 124، 125.

([59]) الكتاب: 215/2.

([60]) شرح الرضي على الكافية: 345/1.

([61]) شرح التصريح: 248/2.

([62]) المصدر السابق: 243/2.

([63]) ينظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د/ محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، ودار الفرقان- بيروت، ط:1، 1985م: ص167. قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي: ص92.

([64]) الكليات لأبي البقاء الكفوي (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، وضع فهارسه: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط:2، 1998م: ص906.

([65]) شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت: 15/2.

([66]) شرح كتاب الحدود في النحو، للفاكهي، تحقيق: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة – القاهرة، ط:2، 1993م: ص210.

([67]) ينظر: معجم شواهد النحو الشعرية: شاهد رقم 701.